

صياغة الحلي والمجوهرات

ظهر فن الحلي في بداية العصر الحجري الأعلى : إذ قام الإنسان بتحويل مواد بسيطة من أصل حيواني أو نباتي أو معدني إلى حلي لتزيين بها أو ليتقي بها من قوى الطبيعة لأن الهدف من الزينة لم يكن جماليا فقط بل كانت له أبعاد مرتبطة بمعتقدات خرافية.

اكتشفت أولى الحلي وأدوات الزينة بالمغرب بعدة مواقع تؤرخ بالعصر الحجري الأعلى وذلك بمدن الرباط وجدة بن سليمان والناظور.

تصنف الحلي بالمغرب إلى حضرية وقروية ومنها ما هو خاص بالرجال وما تنزين بها النساء ولكل نوع خصائصه التي يستمدّها من وسطه المحلي والجهوي.

تصنع الحلي القروية من الفضة حيث يعتمد في تزيينها على عدة تقنيات مثل التسليك والنيلة والنقش والتخريم. أما الحلي الحضرية فتصنع من الذهب والفضة والفضة المذهبة وتمثل في الغالب عناصر للزينة النسائية ، نذكر منها تاج العروس والصدريّة المرصعة بالأحجار الكريمة " اللبة" والأقراط والأساور والسلاسل والخواتم والمضامات. وتتم عملية التزيين بالحلي في المناسبات كالخطوبة والزواج.

تنحصر الحلي الرجالية بالمغرب في الخواتم والسلاسل. ومن الملاحظ أن قطعا أخرى كالسبحة وعلب التبغ وحافظة مؤلف " دليل الخيرات " وكذلك الأسلحة البيضاء والنارية ، اكتسبت بعدا جماليا جعل منها حلية رجالية حقيقية.

مواد وأدوات الصياغة

على الرغم من غنى وتنوع منتج الحلية التقليدية، تظل الأدوات المستعملة لصياغتها محدودة حيث يمكن حصرها في الأدوات التالية :

- فرن تقليدي يحتوي على منفاخ كبير.

- السندان من الحديد لتشكيل المادة.

- بوتقة من الطين لصهر المادة.

- أداة لصنع الأسلاك.

- أساس ذو ثلاث أرجل " حمار ".

- قوالب لبعض الأشكال.

- مطرقات وملاقط ومبارد ومقصات وأزاميل ومناقيش.

تقنيات الصياغة

استعمل الصائغ المغربي على مر العصور عدة تقنيات في صناعة الحلي تؤكد استمرارية وتداول هذا الرصيد المعرفي والثقافي عبر أجيال مختلفة. ومن أهم هذه التقنيات التي تعبر عن غنى وتنوع هذا الإرث، نجد السبك والتقطيع والتسليك والنقش والحفر والتذهيب.

التقنيات

تمكن الصائغ المغربي بفضل مهارته وإبداعاته من إعطاء فن صناعة الحلي أسلوبا ومميزات خاصة لدرجة انفراد كل منطقة بالمغرب بأسلوب خاص بها يتجلى من خلال تقنيات الصياغة واختيار أشكال الموضوعات الزخرفية وغيرها.

تتوفر الحلي على وظائف متعددة تختلف بحسب الشكل والتقنية والمادة المستعملة وتركيبية الزخرف.

إن أكثر المواد استعمالا في فن صناعة الحلي هي معادن الذهب والفضة.

تقنيات الصياغة متعددة ومختلفة : تقنية التقطيع، التخريم ، التسليك، النقش، الحفر، الطلاء، النيلة، التذهيب.

تقنية السبك: من أقدم وأبسط التقنيات التي استعملها الصاغة منذ عهد قديم. ففي حالة الاشتغال على الفضة مثلا يتم تدوير سبائك المعدن الخالص ومزجها ببقايا الحلي القديم "الشضائية" مع نسبة من معدن النحاس. بعد ذلك يمزج هذا الخليط بقليل من الزرنيخ ويوضع في بوثقة من الطين "بوط" ثم يصهر ويصب بعد ذلك السائل المعدني في قالب يسمى "التزريق" من أهم الحلي المسبوكة نذكر على وجه الخصوص الأساور الثقيلة والمضلعة والمنحوتة والخلاخل والمشابك والأقراط.

تقنية النيلة : استعملت هذه التقنية في تزيين حلي منطقة " آيت سغروشن" (الأطلس المتوسط)، وتقتضي ، وتقتضي وضع طلاء أسود مستخلص من مواد نباتية أو معدنية على الحلي، يتم تسخينها حتى تلتصق النيلة بالقطعة وتصل بعد ذلك الحلية بهدف تسويتها وإبراز تمازج لون الفضة اللامع واللون الأسود.

تقنية الطلاء : تميزت بها منطقة الأطلس الصغير خاصة تزنييت و ورزازات و تازناخت يتم الحصول على الطلاء بواسطة مزج ألوان مختلفة مستخلصة من لؤلؤ مسحوق يوضع على أشكال نباتية أو هندسية مرسومة بخيوط فضية يتم تسخينها حتى تذوب الألوان، بعد ذلك تصقل فتظهر براقه.

تقنية التسليك : تعتمد أساسا على صياغة خيوط وحببيات صغيرة ملحومة. تختلف تقنية التسليك من منطقة إلى أخرى، فنجد التسليك المخروم الذي يميز منطقة تالوين والصويرة وتزنييت، ويقتضي قتل خيوط ذات أحجام مختلفة مظفرة أو عادية.

أما النوع الثاني فيسمى بالتسليك المحدد ويتم الحصول عليه بوضع خيوط على شكل حواجز فوق صفائح معدنية لتحديد موضع الطلاء، وتعتمد هذه التقنية بشكل كبير بمنطقة ورزازات وتازناخت.

تقنية الحفر : تعد هاته التقنية من الأساليب المتداولة بكثرة في صياغة الحلبي المغربية ، ونجد ثلاثة أنواع من الحفر : الحفر المذوب والحفر على القطعة والحفر المضغوط.
. الحفر المذوب: يتم الحفر على القطع فور خروجها من القالب.
. الحفر على القطعة : يقتضى وضع القطعة على حامل ذي ثلاث قوائم يدعى " بالحمار" ويتم نقش أشكال ورسوم موضوعة مسبقا بواسطة أداة خاصة تسمى " الحفار".
. الحفر المضغوط : يتم الحفر على القطع الدقيقة السمك حيث يطرق الصانع على المعدن مباشرة بهدف الحصول على زخرفة بارزة.

تقنية النقش : هذه التقنية تشبه تقنية الحفر في كثير من الجوانب، إذ يتم نقش أشكال وزخارف بواسطة منقاش فولاذي على القطع السميكة . وتعتبر أساور منطقة " فوم زكيد" نموذجا لهاته التقنية .
تقنية التذهيب : تستعمل هذه التقنية في الوسط الحضري وتقتضي مزج كمية معينة من الذهب والزئبق وتسخينهما حتى يتبخر الزئبق فيطلى هذا الخليط على القطع التي يراد تذهيبها.

صياغة الحلبي بفاس :

عرفت حاضرة فاس منذ قرون كمركز هام للصناعات التقليدية والمهارات الفنية وقد احتلت صناعة الحلبي مكانة هامة بين هذه الحرف.

استخدم الصائغ تقنيات متعددة لصياغة مواد أولية مختلفة وقد كان الذهب المعدن الأكثر استعمالا حيث صيغ بتقنيات متعددة كالتذهيب والتخريم والتقطيع والتطريق والتفصيل والحفر.

تتكون حلبي المرأة الفاسية من تاج من ذهب مرصع بأحجار كريمة، جبهة مزينة باللؤلؤ والأحجار الكريمة الخضراء (خيط الريح) وزينة الصدر (الزراير) وشبكات مرصعة (نواشات) وأشربة من الثوب المطرز بخيط الذهب وأخيرا صدرية مدرجة باللؤلؤ الأبيض والأخضر وكريات الحرير.

تعتبر حلبي المرأة الفاسية رمزا للرفعة والحسن المرهف والأنوثة والجمال، ويعود تنوع هذه الحلبي إلى اختلاف الأذواق وتشكل جزءا من الصداق أو مهرا للزواج، كما أنها وسيلة للتوفير مضمونة للقيمة ونوع من الإستثمار المربح.

صياغة الحلبي بمكناس :

استعمل الصائغ المكناسي نفس التقنيات المعتمدة في باقي الحواضر المغربية إلا أنه تميز بإضافة طلاء أزرق وهو "الكوبلت" والذي يضيفي بريقا فريدا على الحلبي دون أن ننسى تقنية الترصيع بالأحجار الكريمة أو شبه الكريمة أو الزجاج الذي يزين به المعدن المستعمل.

حافظت حرفة صياغة الحلي على الطابع المغربي الأصيل من حيث تقنيات وأصول صناعتها وهي تحتل مرتبة لا بأس بها ضمن الحرف العتيقة من حيث انتشارها بمختلف أحياء المدن العتيقة وتعرف إقبالا ورواجا دائمين خصوصا بالحلي الذي يدعى " بالملاح".